ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط ولنرجع الى الغرض وهو ان احد الاقسام ما تكل الافهام عن
دركه ومن جملته الروح ومن جملته بعض صفات الله تعالى ولعل الاشارة الى مثله فى قوله صلى الله عليه
وسلم ان لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل ما ادركه بصره **القسم الثانى**
من الخفيات التى تمتنع الانبياء والصديقون عن ذكرها ما هو مفهوم فى نفسه لا يكل الفهم عنه ولكن ذكره
يضر باكثر المستمعين ولا يضر بالانبياء والصديقين وسر القدر الذى منع اهل العلم عن افشائه
من هذا القسم ولا يبعد ان يكون ذكر بعض الحقايق مضرا ببعض الخلق كما يضر نور الشمس بابصار الخفا
فيش وكما يضر رياح الورد بالجعل وكيف يبعد هذا وقولنا ان الكفر والزنا والمعاصى والشرور بقضاء
الله وارادته ومشيئته حق فى نفسه وقد اضر سماعه بقوم اذ اوهم ذلك عندهم دلالة على السفه
ونقيض الحكمة والرضا بالقبيح والظلم وقد الحد ابن الراوندى وطائفة من المخذولين بمثل ذلك وكذا
سر القدر لو افشى لاوهم عند اكثر الخلق عجزا اذ تقصر افهامهم عن درك ما يزيل الوهم عنهم ولو قال
قايل ان القيامة لو ذكر ميقاتها وانها بعد الف سنة او اكثر او اقل لكان مفهوما ولكن لم يذكر لمصلحة
العباد وخوفا من الضرر فلعل المدة اليها بعيدة فيطول الامد واذا استبطات النفوس وقت العقا
ب قل اكتراثها ولعلها كانت قريبة فى علم الله ولو ذكرت لعظم الخوف واعرض الناس عن الاعمال وخربت
الدنيا فهذا المعنى لو اتجه وصح فيكون مثالا لهذا القسم **القسم الثالث** ان يكون الشئ بحيث
لو ذكر صريحا لفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه فى قلب
المستمع اغلب وله مصلحة فى ان يعظم وقع ذلك الامر فى قلبه كما قال قايل رايت فلانا يقلد الدر فى
اعناق الخنازير وكنى به عن افشاء العلم وبث الحكمة الى غير اهلها فالمستمع قد يسبق الى فهمه ظاهره
والمحقق اذا نظر وعلم ان ذلك الانسان لم يكن معه در ولا كان فى موضعه خنزير تفطن لدرك السر و
الباطن فيتفاوت الناس بذلك ومن ذلك قول الشاعر رجلان خياط واخر حايك متقابلان على السماك الاعزل
لا زال ينسج ذاك خرقة مدبر ويخيط صاحبه ثياب المقبل فانه عبر عن سبب سماوى فى الاقبال و
الادبار برجلين صانعين وهذا النوع يرجع الى التعبير عن المعنى بالصورة التى تتضمن عين المعنى او مثله
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان المسجد لينزوى من النخامة كما تنزوى الجلدة على النار وانت ترى ان ساحة
المسجد لا تنقبض بالنخامة ومعناه ان روح المسجد ومعناه كونه معظما ورمى النخامة فيه تحقير له فيضاد
معنى المسجدية مضادة النار لاتصال اجزاء الجلدة وكذلك قوله م اما يخشى الذى يرفع راسه قبل
الامام ان يحول الله راسه راس حمار وذلك من حيث الصورة قط لم يكن ولا يكون ولكن من حيث المعنى هو كاين
اذ راس الحمار لم يكن بحقيقته للونه وشكله بل بخاصيته وهى البلادة والحمق ومن رفع راسه قبل الامام
فقد صار راسه راس حمار فى معنى البلادة والحمق وهو المقصود دون الشكل الذى هو قالب المعنى اذ من غاية
الحمق ان يجمع بين الاقتداء وبين التقدم فانهما متناقضان وانما يعرف ان هذا السر على خلاف الظاهر
اما بدليل عقلى او شرعى اما العقلى فان يكون حمله على الظاهر غير ممكن كقوله صلى الله عليه وسلم
قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن فامره السلف على ظاهره من غير تفتيش وخالف فيه قوم

وقالوا

وقالوا اذا فتشنا عن صدور المؤمنين فلم نجد فيها اصابع فعلموا انها كناية عن القدرة التى هى سر
الاصبع وروحها الخفى وكنى بالاصبع عن القدرة لان ذلك اعظم وقعا فى تفهيم تمام الاقتدار والاول
اسلم ومن هذا القبيل كنايته عن الاقتدار بقوله انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فان ظاهره
ممتنع اذ قوله كن ان كان خطابا للشئ قبل وجوده فهو محال اذ المعدوم لا يفهم الخطاب حتى يمتثل
وان كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين ولكن لما كانت هذه الكناية اوقع فى النفوس فى تفهيم غاية الاقتدار
عدل اليها واما المدرك بالشرع فهو ان يكون اجراؤه على الظاهر ممكنا ولكن يروى انه اريد به غير
الظاهر كما ورد فى تفسير قوله تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها الاية فان معنى الماء
هو القرآن ومعنى الاودية القلوب وان بعضها احتمل شيئا كثيرا وبعضها شيئا قليلا وبعضها لم يحتمل
والزبد مثل الكفر فانه وان ظهر وطفا على راس الماء فانه لا يثبت والهداية التى تنفع الناس تمكث وفى هذا
القسم تعمق جماعة فاولوا ما ورد فى الاخرة من الميزان والصراط وغيرهما وهو بدعة فلم ينقل ذلك بطريق
الرواية واجراؤه على الظاهر غير محال فيجب اجراؤه على الظاهر **القسم الرابع** ان يدرك الانسان
الشئ جملة ثم يدركه مفصلا بالتحقيق والذوق بان يصير حالا ملابسا له فيتفاوت العلمان ويكون الاول
كالقشر والثانى كاللب والاول كالظاهر والاخر كالباطن وذلك كما يتمثل للانسان فى عينه شخص فى الظلمة
او على البعد فيحصل له نوع علم فاذا راه بالقرب او بعد زوال الظلام ادرك تفرقة بينهما ولا يكون الاخير
ضد الاول بل هو استكمال له فكذلك فى العلم والايمان والتصديق اذ قد يصدق الانسان بوجود العشق
والمرض والموت قبل وقوعه ولكن تحققه به عند الوقوع اكمل من تحققه قبل الوقوع بل للانسان فى الشهوة
والعشق وساير الاحوال ثلاثة احوال متفاوتة وادراكات متباينة الاول تصديقه بوجوده
قبل وقوعه والاخر عند وقوعه والاخر بعد انصرامه فان تحققك بالجوع بعد الزوال يخالف
التحقق به قبل الزوال فكذلك من علوم الدين ما يصير ذوقا فيكمل فيكون ذلك كالباطن بالاضافة
الى ما قبل ذلك ففرق بين علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح بها ففى هذه الاقسام الاربعة يتفاوت
الخلق وليس فى شئ منه باطن يناقض الظاهر بل يتممه ويكمله كما يتمم اللب القشر **القسم الخامس**
ان يعبر بلسان المقال عن لسان الحال فالقاصر الفهم يقف على الظاهر ويعتقده نطقا والبصير با
الحقايق يدرك السر فيه وهذا كقول القايل قال الجدار للوتد لم تشقنى قال سل من يدقنى فلم يتركنى
ورائى الحجر الذى ورائى فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان المقال ومن هذا قوله تعالى فقال لها
وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فالبليد يفتقر فى فهمه الى ان يقدر لهما حيوة وعقلا
وفهما للخطاب وخطابا هو صوت وحرف تسمعه السماء والارض فتجيب بصوت وحرف وتقول اتينا
طائعين والبصير يعلم ان ذلك لسان الحال وانه انباء عن كونهما مسخرتين بالضرورة مضطرتين الى التسخير
ومن هذا قوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده فالبليد يفتقر الى ان يقدر للجماد حياة وعقلا و
نطقا بصوت وحرف حتى يقول سبحان الله ليتحقق تسبيحه والبصير يعلم انه ما اريد به نطق اللسان

Copyright © King Saud University